ويعطي د. كنعان تفسيرا مبنيا على معتقد شعبي لظاهرة الينابيع الساخنة . يقول : « هناك عدد كبير من الارواح تسخن المياه باستمرار قبل ان تنفذ الى سطح الارض . ويستحضر الوقود من مسافة بعيدة . لقد أمر الملك سليمان الجن أن يقوموا بهذا العمل ليمنحوا سكان فلسطين حماما طبيعيا ساخنا وبما ان الارواح عمياء وطرشاء ولا تعلم بموت سيدها الملك فقد ظلت تخشى عقابه واستمرت تقوم بعملها . ويسود اعتقاد مماثل حول « الحمام التركي » اذ يقال : « سكانه بحموه » اي ان الارواح التي تسكنه هي التي تسخنه .

ويرى د. كنعان أن هناك صلة بين المعتقدات الحالية للشعب الفلسطيني وبين المعتقدات الاثنولوجية القديمة لسكان فلسطين . وهو يرى أن الينابيع التي يعتقد الان بأنها مسكونة بالارواح كانت في الماضي ينابيع مقدسة ومكرسة لعبادة الالهة المتعددة في فلسطين . وان ارواح الالهة لا تزال تزور تلك الينابيع — على حد المعتقد الشعبي — وان تغيرت اشكالها ، وقد ظلت الفكرة الاساسية سائدة . ويعتبر د. كنعان المعتقدات الحالية كرواسب متبقية من الممارسات الدينية القديمة في فلسطين . ويفسر ذلك ان العديد من الينابيع الموجودة حاليا ظلت تؤدي اغراضا علاجية كما هو الحال منذ عهد التوراة . ومن ذلك عين سلوان وحمام ستنا مريم وعين ام الدرج وحمام الشفا . وللسبب نفسه نجد ان هناك تقدمات تقدم للارواح حارسة المياه ، فتقدم الشموع والازهار لحمام ستنا مريم وتقدم المصابيح لغير هذا النبع . وتؤدى صلوات وادعية ويحرق بخور عند بعض الينابيع كما هو الحال عند نبع جفنا . وتسمع عند بعض الينابيع صلاة وصوت جمهور غير مرئي .

ان ملاحظات د. كنعان حول الابار المسكونة بأرواح خيرة وشريرة تدور حول الخوف من الارواح بنوعيها ، واذا كانت ارواح أولياء الله تقدم العون للاخيار فانه لا يجوز الاقتراب منها في حالة لا تظهر عدم الاحترام لاولئك الابرار . ولذلك لا يجوز لامرأة مؤمنة ان تقترب من نبع مقدس او تمسه وهي غير طاهرة . واذا حصل ذلك فان الولي سيعاقب مثل هذه المرأة باصابتها بمرض في جسدها . وقد يعاقب البلد بأكمله ويوقف جريان النبع . ولذلك لا يجرؤ احد على الاقتراب من نبع تسكنه روح رجل مقدس دون ان يذكر اسم الله او اسم الولي او القديس الذي يسكن ذلك المكان وخاصة اذا كان الوقت ليلا او كان الشخص يسير ليلا بمفرده في مكان مهجور . واذا لم يفعل الشخص ذلك فانه سيلقى المتاعب . أما الارواح الشريرة التي يمكن ان تصادف شخصا ما فانها قد تتبعه وتصيبه بالمرض والضعف وحتى الموت . ويمكن ان تقوم هذه الارواح بتجفيف مياه هذه الينابيع وخاصة اذا اقتربت منها امرأة غير طاهرة . وفي جفنا فان القسيس يذهب الى البئر الجاف فيتلو الدعاء ويحرق البخور ليسترضي الجنية او يجبرها على اطلاق سبيل الماء .

وهكذا يكون الخوف من الارواح بنوعيها القاسم المشترك للمعتقد الشعبي حول هذه الكائنات التي تحتل مكانا غامضا جدا في اذهان الناس .

الاواني السحرية(٤)

طاسة الرجفة او طاسة الرعبة اناء ذو قدرة سحرية مبنية على الكتابات المثبتة عليه . واذا ما شرب من مائه الشخص الخائف فانه يشفى . وقد اجرى د. كنعان دراسات على ٥٨ عينة من الاناء المعروف بطاسة الرجفة (أو طاسة الرعبة ، الخوفة ، الخظة) . ولا يتوقف أثر هذا الاناء السحري على شفاء المصاب بحالة الخوف انما هناك العديد من الامراض التي يشفى اصحابها اذا ما وضعوا ماء في هذه الطاسة وشربوا منه . وقد أورد المؤلف عشرات من الكتابات التي نقشت على تلك الاواني والتي توضح